المغـــــــــول

وموقفهـــــم من الأديـــان

من سنة ٦١٦ هـ الى سنة ٦٨١ هـ

١٢١٩ م ـ ١٢٨٢ م

د احمد محمد الدسوقى المتوفى

يوضح هذا البحث موقف المغول من الأديان ، ويتعرض من خلال ذلك لمدى العداوة الوثنية والصليبية للاسلام والمسلمين أفراد وجماعات ، وهى عداوة متصلة الحلقات لم تهدأ إلى يومنا هذا ، فصدق عز وجل حين قال : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (١) .

وما حدث داخل امبراطورية المغول حلقة من حلقات هذه العداوة جديرة بالكشف عنها ، وتوضيح مظاهرها ونتائجها، علها تفيدنا فى واقعنا المعاصر ، ومما لا شك فيه أن الدراسات المتعلقة بالمغول ودولهم وصلتهم بالعالم الاسلامى ، لم تنل ما تستحق من دراسة لأسباب كثيرة ، وما يزال هذا المجال محتاجا إلى جهود العلماء واقلام الباحثين ، وبخاصة فى هذه الأيام التى نرى فيها جمهوريات وسط آسيا الاسلامية تستقل عما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى ، لأن تاريخ هذه الجمهوريات الجديدة له ارتباط بتاريخ المغول الذين امتد رواق ملكهم إلى هذه الأماكن ، واختلطوا بشعوبها بعد اعتناقهم الاسلام ، وصاروا جزءا من نسيجه ، وخليق بنا أن نتعرف على تاريخ هؤلاء الإخوة فى الاسلام ، ونتتبعه فى دروب الماضى ، لنفهم حقائق الحاضر ، ونؤصل التقارب والتعاون بيننا وبينهم على أساس من عقيدتنا وتاريخنا الإسلامى المشترك .

وهذا البحث جهد متواضع يحوم حول هذه الغاية ، وقد اخترت الفتره من ٦١٦ ـ ٦٨١ هـ لأنها وضحت فى نظرى موقف المغول من الأديان ، وجسمت العداوة الوثنية الصليبية للاسلام والمسلمين تجسيما واضحا .

---

(١) سورة البقرة من آية ٢١٧

ويبدأ البحث بالحديث عن امبراطورية المغول بصفة إجمالية كمدخل لتوضيح موقف المغول من الأديان ، ثم يلقى الاضواء الكاشفة على موقفهم من الأديان .

إمبراطـوريـة المغـــول

المغـــول وموطنهم :

يرد فى المراجع التاريخية ذكر المغـــول والتتار بمعنى واحد ، وقد اثر مؤرخو العرب القدامى من أمثال ابن الاثـير وغيره ، إطلاق كلمة تتار على فتوحات المغول التى قامـــت فى العصور الوسطى على يد جنكيز خان ومن جـاء بعـده ، وما زالت هذه الكلمة تطلق إلى الآن على ســـلالة هذا العنصر فى الجهات التى استقروا بها فى آسيا وأوربا .

وكلمة مغول مشتقة من لفظ محلى معناه الشجاع ، على حين يرى البعض أنها مشتقة من اسم زعيم ظهر بين تلك القبائل فى القرن العاشر الميلادى (٢) .

ويذهب بعضهم إلى أن المغل أو المغول قبيلة من التتر(٣) ويقول أحد المؤرخين : (إن التتر شعب كبير من الأمة التركية ، ومنه تتفرع معظم بطونها وأفخاذها ، وهو مرادف للترك عند الإفرنج ، حتى إنهم يعدون قبائل الترك كافة تترا، ومنهم العثمانيون والتركمان وغيرهم ، وكانوا مشهورين عند قدماء اليونان باسم « سبيتيا » أو « اسكوتيا ») ويضيف : (ان مؤرخى الترك ونسابوهم يقولون إن « آلنجه خان » أحد ملوك الترك فى الأزمنـــة القديمة ولد له ولدان توأمان هـما « تتارخان » و « مغل خان » ، نحـو ربيعـــه ومضر فى الأمة العربية ، وقد استمر أولادهما على صفاء وود الى أن وقـــع النزاع بين الشعبين فى عهد « إيلخان » ملك المغل و « سونج

---

(٢) د. ابراهيم أحمد العـدوى العرب والتتار ص ٢٧ الحاشـية المكتبة الثقافية يوليو ١٩٦٣م القاهرة .

(٣) جورجى زيـدان التمدن الاسـلامى ج ٤ ص ٢٣٩ دار الهـلال ١٩٥٨م القاهرة .

خان » ملك التتتر ، وجر هذا النزاع الى حروب طويلة انتصر فيها التتتر ، وقتل « ايلخان » ملك المغل ، وصارت السيادة من ذلك الوقت للتتتر فاستعبدوا المغل مدة طويلة الى أن جمع المغل جموعهم ، واتحدوا ، وقاموا بحرب التتتر ، وكسروا شوكتهم ، واستردوا ما ضاع من حريتهم ، فعادت السيادة من ذلك الوقت الى المغل ، وصار الملك متوارثا فيهم الى زمن « يسوكى بهادرخان » والد جنكيز خان)(٤) .

على حين يرى البعض أن هذه المنطقة من أواسط آسيا كانت مقرا لسكن أمتين مختلفتين هما الاتراك والمغول(٥) .

وموطن المغول الهضبة الآسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين الى أواسط آسيا ، واذا نظرنا الى اقليم وسط آسيا ، ذلك الاقليم الذى خرج منه المغول ، وجدناه على مر العصور التاريخية المختلفة يشهد الجماعات المتباينة تخرج منه إلى الأقاليم المجاورة أو البعيدة ، وأقرب الأمثلة على ذلك هجرة الاتراك السلاجقة بزعامة سلجوق الذى جاء بقومه من برارى القرغيز فى التركستان واستقر بالقرب من بخارى على أطراف الدولة الاسلامية فى القرن العاشر ، وهناك اعتنق الاسلام على المذهب السنى هو واتباعه ، ثم غزوا العالم الاسلامى م ن الشرق ، وتوغلوا فيه الى أن وصلوا بغداد ودخلوها دخول الفاتحين .

ولم تكن هجرة هذه القبائل وإغاراتها على آسيا فقط ،

---

(٤) الشيخ محمد الخضرى محاضرات تاريخ الامم الاسلامية الدولة العباسية ص ٤٦٧ الطبعة الرابعة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م .

(٥) برتولد شبولر العالم الاسلامى فى العصر المغولى ص ١٩ ترجمة خالد عيسى نشر دار حسان دمشق ١٩٨٢م .

بل انحفعت الى القارة الأوربيـــة وكانت مـن العوامل التى قوضت أركان الامبراطورية الرومانية(٦) .

ديانة اليهود وحضارتهم :

كانوا يدينون بالشامانية ، وهى ديانة بدائيـــة ودعيت بهذا الاسم لأن رجل الدين فيها يدعى شامان ، ويتم اختياره عن طريق السماء ـ فى اعتقادهم ـ أو من قبل شـــامان سابق ، ويخضع لتدريبات خاصة ، والشامانيون او رجال الدين عند المغول أشبه بالكهنة عند قدماء المصريين طبقة مستنيرة تجيد علم الفلك وتحدد أوقات الكسوف والخسوف ، ويمارســون مع وظيفتهم الدينية وظيفة رجل الدولة ووظائف الســاحر والطبيب والمشرع الحاكم والسياسى أحيانا(٧) .

والعقيدة الشامانية ـ عنـــد بعض المؤرخين ـ نـــوع من الوثنية تتمثل فى عبادة كل شىء يسمو فوق العقول ويصعب على الأفهـــام كما تتمثل فى عبـــادة كل ما يخاف منه ، فكان للمغول آلهة فى النهر والجبل والشمس والقمر والبرق الخاطف والرعد القاصف(٨) ، ولعل من هؤلاء المؤرخين ابن الاثير الذى ذكر عن ديانتهم أنهم يسجدون للشمس عند طلوعها(٩) .

---

(٦) حافظ أحمد حمدى الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٠٨ القاهرة ١٩٤٩م .

(٧) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى . تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ٢٥ دار المعارف ١٩٨١ القاهرة وانظر شبولر مرجع تقدم ص ٦٤ حاشية (٢) .

(٨) مصطفى بدر محنة الاسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على ايدى المغول ص ٥٦ الجيزة ١٩٤٦م .

(٩) ابن الاثير : أبو الحسن على بن ابى الكرم محمد الشيبانى الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٤٣٠ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

ويرى بعضهم أنهم كانوا يؤمنون بإله واحد ، ولكنهم اعتبروا الشمس والقمر والارض كائنات عليا فصلوا لها وقدموا لها الأضحيات وممن ذهب الى مثل هذا الرأى النويرى وابن كثير ، كما يفهم من حديثهما عن جنكيز خان(١٠) .

وكان المغول أمة بسيطة لها من المعارف ما يذأسب حياتهم ، وهذه المعارف لا ترقى الى كونها علوما لافتقارها الى ما يستلزمه العلم من بحث واستقصاء ، وكانت هذه المعارف قاصرة على ما تتطلبه حياتها كالفلك والطب ، كما كان للمغول فنونهم التى أظهرتها ظروف الحرب ، واقتضتها أمور الحياة، كالفروسية والمبارزة بالسيوف والمصارعة العنيفة ، وتفننت النساء فى صناعة أوتار القسى والدروع من جلود البقر وتجهيز الرماح من العظام(١١) .

وتكلم المغول لغة شبيهة بالتركية ، ويرجعان معا الى أصل واحد ، وكانت اللغة المغولية لا تكتب حتى ظهور جنكيز خان فاستخدموا الحروف الإيغورية فى كتابتها وكان الايغور أول معلمين للمغول(١٢) .

وكانت حضارة المغول عموما على عهد جنكيز خان حضارة متدينة اذا ما قورنت بالحضارة الصينية أو الحضارة

---

(١٠) النويرى : شهاب الدين أحمد عبد الوهاب نهاية الأرب فى فنون الأدب ج ٢٧ ص ٣٠٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م وابن كثير : اسماعيل بن عمر القرشى البداية والنهاية ج١٣ ص١١٩ دار الفكر العربى القاهرة وانظر فاسيلى برتولد تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ص ٤٤٠ ترجمة صلاح الدين عثمان الكويت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

(١١) العدوى مرجع سبق ص ٢٦ .

(١٢) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩ والايغور امة مجاورة للمغول.

الاسلامية أو حتى بحضارة ابناء عمومتهم من قبائل الكرايت والنيمان والايغـور الذين كانوا يجاورونهم ، ولذلك برزت الحاجة الملحة للافادة من حضـارة هؤلاء فور الانتهـاء مـن توحيد المغول على يد جنكيز خان .

المغول قبـل جنكيز خان :

يعتمد تاريخ المغول القديم على الرواية والتلقين ولذلك كان غامضا ، يتخلله كثير من الأساطير ، ومما ساعد المؤرخين على تبديد الغموض الذى أحاط بتاريخ المغول القديم ، ما عثروا عليه من مؤلفات التاريخ الصينى ، لما كان هناك من اتصال بين الصينيين ـ أصحاب الحضارة ـ وبين البدو من سكان وسط آسيا منذ الازمنة القديمة .

وما يمكن أن يقال عن تاريخ المغول القديم هو أن هـذه الشعوب قديما شأنها فى ذلك شأن القبائل البدوية عمـوما كانت فى نزاع مستمر فيما بينها وكانت كثيرة الاغارة على البلاد الغنية المجاورة وبخاصة الصين ، ولعل ذلك كان سببا فى إقامة سـور الصين العظيم قبل الميـلاد بنحو قرنين من الزمان ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان حكومة الصين كانت تستخدم جيوشا من هؤلاء البدو وتوزعهم على حدودها الشمالية ، لكى يحموهم من اخوانهم فى الجنس .

وظلت الامم المغولية عدة قرون خاضعة للنفوذ الأجنبى ، لا تكاد تتخلص من سيطرة امبراطورية مـن الامبراطوريات حتى تقع تحت سيطرة امبراطورية أخرى ، وكانت آخر هذه الامبراطـوريات امبراطورية « كيمن » التى تخلصت من

سيطرتها سنة ١١٣٧م(١٣) واتجه المغول بعد ذلك الى توحيد صفوفهم وتكوين امبراطورية واسعة بزعامة جنكيز خان .
جنكيز خان .

اسمه الحقيقى « تموجين » ولد سنة ٥٤٩هـ — ١١٥٥م(١٤) وشب وسط قبيلة « التمرجى » المغولية ، وكان فى سن طفولته لا يفارق أباه « يسوكاى بهادر » الذى كان زعيما سادقومه المغول والأقوام المجاورين لهم كالتتار وغيرهم، وقد مات والده وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره ، فلم يلبث المغول والاقوام الأخرى أن انفضوا عنه واتجهوا لاختيار زعيم آخر ، ولكن تيموجين أخذ يعمل على جمع الأنصار ، وكانت والدته « أوالون أيكه » تشجعه على ذلك ونجح فى استرداد عرش أبيه ودخل فى عدة حروب متصلة مع القبائل الاخرى المعادية وتمكن من اخضاعها واصبحت تلك القبائل أمة واحدة بعد اختلاف وشقاق(١٥) .

وجد تيموجين قبل أن يسير بهذه الأمم نحو الغزو الخارجى الواسع أن يضع لها قوانين ونظما ادارية تنظم حياتها ، وفى هذا المجال الادارى أظهر عبقرية ومهارة لا تقل بحال عن مهارته فى الناحية العسكرية على الرغم من جهله القراءة والكتابة ، فأنشأ القورتيلاى ، ويعنى المؤتمر العام ، ويضم رؤساء القبائل وخاناتها ، ويناقش المسائل العامة ويضع الخطط المستقبل ، وقد اختار هذا المؤتمر « تيموجين »

---

(١٣) مصطفى بدر مرجع سبق ص ٦٢ .
(١٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية والترجمة العربية المجلد السابع العدد الرابع ص ١٢٦ وحدد جورجى زيدان مولده بسنة ٥٤٨هـ . التمدن الاسلامى جـ ٤ ص ٢٤٠ وانظر الخضرى مرجع سبق ص ٤٦٧ .
(١٥) مصطفى بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها وانظر د. العذوى مرجع سبق ص ٢٨ — ص ٢٩ .

ليكون السيد الأعلى ، وأغدق عليه لقبا جديد هو جنكيز خان أى أعظم الحكام وامبراطور البشر وذلك سنة ٦٠٣هـ = ١٢٠٦م(١٦) .

وأمر جنكيز خان بتدوين « الياسا » أو « اليساق » وهو القانون العرفى المغولى(١٨) الى جانب تعاليم جنكيز خان « البيليك » (١٩) .

وكانت طبيعة المغول الحربية ، وقيام حياتهم على الحروب والمنازعات قد دفعتهم الى السبق الى كل ما هو جديد فى مضمار التنظيم الحربى ، والخطط الحربية ، والآلات الحربية ، وكان فضل جنكيز خان فى هذه الناحية يتمثل فى محافظته على النظم السابقة وتقويتها ، وسن القوانين الصارمة التى تعاقب كل مخالف لها ، وكان القصر فى هذا المجال لا يعاقب بقتله وحده بل بقتل زوجته واولاده أيضا(٢٠) .

تكوين جنكيز خان لامبراطورية واسعة :

اتجه جنكيز خان بجيوشه شرقا الى بلاد الصين ، واستغل ما كانت تعانيه من انقسام واضطراب ، وامكنه التوغل فى هذه البلاد والاستيلاء على العاصمة بكين(٢١) .

ثم اخذ طريق الغرب فاتجه الى دولة الخطا ، وهى دولة قوية على الحدود الاسلامية ونجح فى اسقاط هذه الدولة وبذلك

---

(١٦) د. العدوى المرجع السابق .
(١٨) سيأتى مزيد من التفصيلات عنها .
(١٩) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٩ .
(٢٠) حافظ حمدى مرجع سبق ص ٢١٥ .
(٢١) المرجع السابق ص ١١١ وما بعدها .

اصبح المغول على ابواب العالم الاسلامى .

كان العالم الاسلامى يعانى من التفكك والانقسام والضعف ، ويجابه خطر الحملات الصليبية التى طرقت بلاد الشام وعبر جنكيزخان نهر سيحون وسار الى بخارى فى أواخر سنة ٦١٦هـ = ١٢١٩م فاستولى عليها وتوالى سقوط المدن والبلاد الاسلامية فى يد جنكيز خان وسارت فتوحاته شمالا فى بلاد الروس والبلغار ، وتمكن فى زمن يسير من تكوين امبراطورية عظيمة مترامية الاطراف ، تبتدىء شرقا من بلاد الصين ، وتنتهى غربا الى بلاد العراق وبحر الخزر وبلاد الروس ، وجنوبا ببلاد الهند ، وشمالا بالبحر الشمالى(٢٢) .

وقبيل وفاته قسم هذه البلاد الواسعة الى أربعة اقسام بين ابنائه الاربعة(٢٣) وهم « جوجى » و « جغطاى » و « تولى » و « أوكداى » ، فجعل بلاد القفجاق بأسرها وبلاد الداغستان وخوارزم وبلغار والروس ، وما يؤمل أخذه الى منتهى المعمورة ، وسواحل البحر الغربى لولده الأكبر

---

(٢٢) انظر ابن الاثير الكامل جـ٩ ص ٣٣٠ ـ ص ٣٤٤ والنويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٠٠ ـ ص ٣٣٢ وابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨٦ ـ ص ٩١ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧١ ـ ٤٧٤ .

(٢٣) تشير المصادر التاريخية الى ان جنكيز خان أنجب تسعة من الأولاد من بينهم أربعة كانوا من زوجته « تسونجين بيكى » التى كان يفضلها على كل زوجاته ومخطياته الكثيرات ، ويسميها النويرى «تسوجى خاتون » وعنده ان أولاد جنكيز خان تسعة عشر ولدا . نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٣٤ وانظر د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ ص ١٦٣ بيروت ١٩٨٠م .

« جوجى » أو « دوشى خان » وقد تولى ابنه « باتو » آو « باطوخان » بعده(٢٤) ومن هذا الفرع كانت مملكة القبائل الذهبية .

وجعل بلاد إيغور والتركستان ، وما وراء النهر بأسره لولده الثانى « جغطاى » وجعل خراسان وما يؤمل أخذه من ديار بكر والعراقين الى منتهى حوافر خيولهم لولده الثالث « تولى خان » ومن هذا الفرع كانت ايلكخانية إيران وجعل بلاده الأصلية والخطا والصين الى منتهى المعمورة لولده الرابع « أوكداى » وجعله ولى عهده من بعده ، ويصير « قاآنا »(٢٥) على الكل ، وأمر الباقين بمتابعته ، وكذلك كل من يصير « قاآنا » يجب على الباقين طاعته ، وتوفى جنكيز خان سنة ٦٢٤هـ = ١٢٢٧م فى الثانية والسبعين من عمره(٢٦) .

---

(٢٤) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٥٧ وعنده ان جوجى او دوشى خان مات بعد والده ، بينما هناك مصادر تشير الى موته فى حياة ابيه ، وقيل انه اضمر الخلاف على أبيه فأمر بسمه سرا . انظر رشيد الدين الهمذانى جامع التواريخ جا ص ٥١٣ ترجمة محمد صادق نشأت واخرين القاهرة ١٩٦٠م وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٤٠ .

(٢٥) القاآن أو الخاقان لقب ملك المغول الاعظم أو الرئيس الاعلى لأمبراطوريتهم ، ومقره قراقورم ، أما فان أو خان فلقب الذين يتولون جزءا من الامبراورية ، وقد يطلق على القاآن أو الخاقان من قبيل الاختصار النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٣٠ حاشية (١) .

(٢٦) موت جنكيز خان سنة ٦٢٤ أو ٦٢٥ هـ عند النويرى نهاية الارب ج٢٧ ص ٣٣٤ وانظر ابن كثير البداية والنهاية ج١٣ ص١١٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥ .

وهكذا ورث الملك من آل جنكيز خان أربعة بيوت ، وقد قامت باتمام الفتح حتى تهيأ لها تملك معظم بلاد المسلمين ، وجزءا كبيرا من أوربا ، وبيت « تولي خان » هو الذى كان على يديه سقوط بغداد ، وامتداد سلطان التتار الى بلاد الجزيرة والشام وبلاد الروم(٢٧) .

---

(٢٧) النويرى نهاية الارب جـ٢٧ ص٣٣٥ - ص٣٣٧ والخضرى مرجع سبق ص ٤٧٥ .

إعادة الفيل على الصدر البرمائي لجيش الكوش (الفاطميون البحريون)

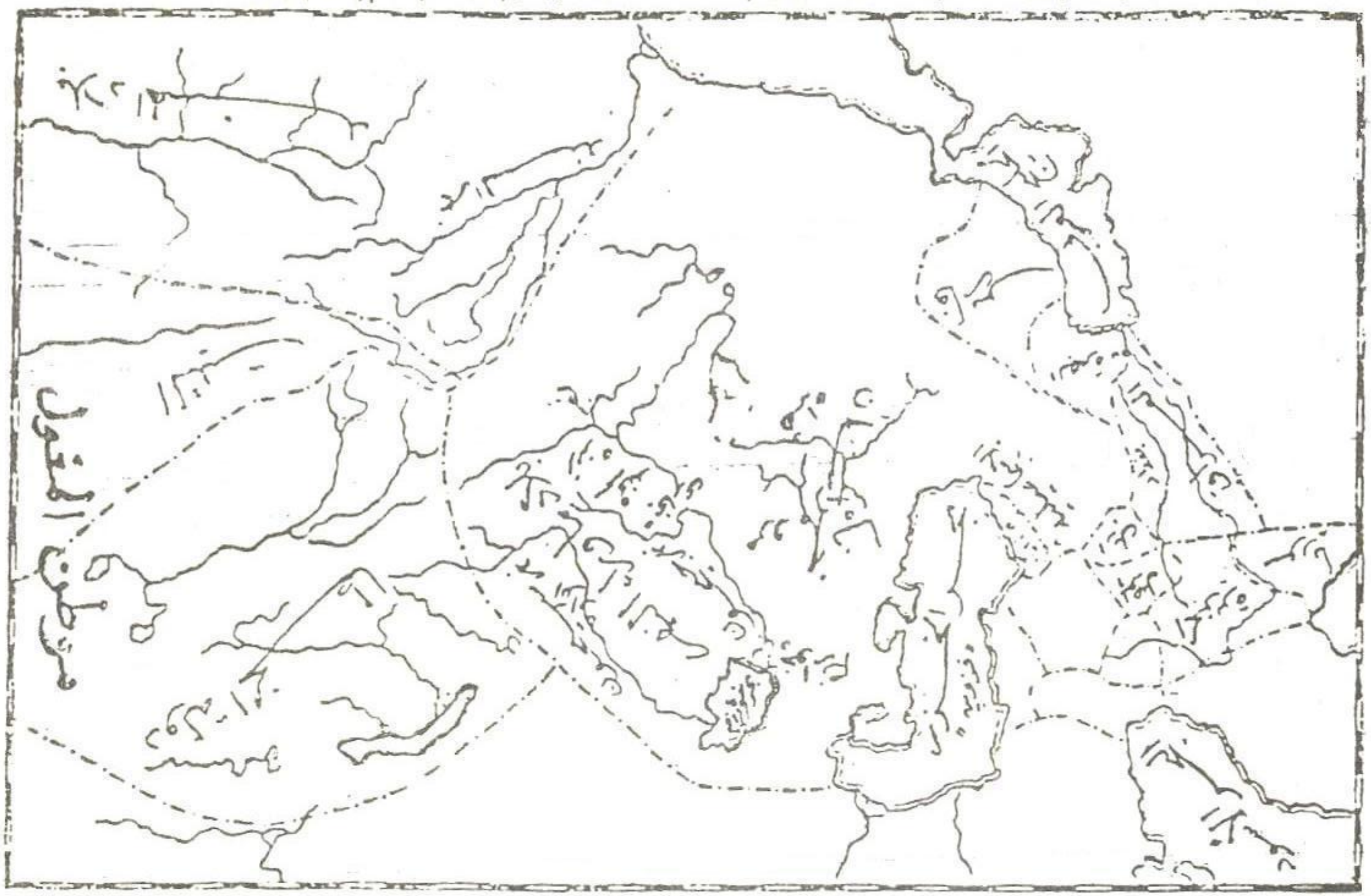

موقف المغـول من الأديان

فى عهـد جنكيز خان :

علاقة جنكيز خان بدين قومه :

يذهب النويرى إلى أنه كان لا يدين لديانة ولا يرجع إلى ملة ، وذكر ما قيل من أنه تزهد مدة طويلة وانقطع بالجبال وكان سبب زهده أنه سأل بعض اليهود فقال له : (بم اعطى موسى وعيسى ومحمد هذه المنزلة العظيمة ، وشاع لهم اذكر؟) فقال اليهودى : (لأنهم احبوا الله وانقطعوا له فاعطاهم) فقال جنكيزخان : (وأنا إذا أحببت الله وانقطعت إليه يعطينى) قال اليهـودى : (نعـم وازيدك أن فى كتبنا أن لـكم دولة ستظهر) فترك جنكيز خان ما كان فيه من عمل الحديد أو غيره وترهب ، وفارق قومه وعشيرته ، والتحق بالجبال ، وكان يأكل من المباحات ، فشاع ذكره ، فكانت الطائفة من قبيلته تأتيه للزيارة فلا يكلمهم ، ويشير إليهم أن يصفقوا بأكفهم ، ويقولوا : (يا الله يا الله يخشى در) فيفعلون ذلك ، ويوقعون له ، وهو يرقص ، فكان هذا دأبه وطريقته مع من يقصـده للزيارة ، وهو مع ذلك لا يدين لديانة ، ولا يرجع الى ملة ، بل مجرد محبة الله ـ بزعمه ـ فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، فهذه كانت بدايته(٢٨) .

وما ذكره النويرى غريب وبعيـد : فروايته تجعـل من جنكيز خان رجلا من رجال الرهبانية أو التصـوف وهـذا يناقض ما عرف من تاريخه من سـفك للدماء ، واعتـداء على الحرمات ، ثم من أين له بالوقت الذى ينقطع فيه العبادة ،

---

(٢٨) النويرى نهاية الأرب ج ٢٧ ص ٣٠٢ .

وتاريخ شبابه يشير الى أنه كان مشغولا بالحروب والقضاء على الفتن .

أما ابن كثير فيرى أنه كان مشركا بالله وكان يعبد مع غيره ، إلا أنه كان يأتى بمكارم يفعلها لسجيته ، وما أداه إليه عقله(٢٩) .

أما المصادر الأخرى غير الاسلامية فتشير الى أنه كان على دين قومه الشامانية ، وتومىء المصادر الصينية المعاصرة لجنكيز خان ، أنه مارس دور الشامان - رجل الدين - بين قومه(٣٠) .

ومما لا شك فيه أن التمسك بدين قومه ، أو التظاهر بذلك - إن لم يكن يعتقده - كان ضروريا لقيادة هذه الجموع المغولية ، وتحقيق مشروعاته الطموحة ، وكان لابد من استغلال الدين لتحقيق هذه الآمال ، وفى هذا الصدد ينقل ابن كثير عن الجوينى : (أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال فى البرد الشديد للعبادة ، فسمع قائلا يقول له : « إنا قد ملكنا جنكيز خان وذريته وجه الأرض ») قال الجوينى : (فمشايخ المغول يصدقون بهذا ، ويأخذونه مسلما)(٣١) .

وفى المؤتمر الذى اختير فيه ملكا على المغول ، كان فى

---

(٢٩) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٩ .

(٣٠) من هذه الكتب « التاريخ السرى للمغول » انظر برتولد شبولد مرجع سبق ص ٢٦ حاشية ٢ .

(٣١) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٧ ص ١١٨ . والجوينى هو علاء الدين عطا ملك بن محمد جوينى المتوفى سنة ٦٨١هـ = ١٢٨٣م صاحب كتاب « جهانكشاى » بالفارسية ، وقد اعتمد على روايات سمعها من المغول أنفسهم .

جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال : (يا إخوتى قد رأيت فى منامى كان رب السماء على عرشه النارى تحدق به الأرواح ، وقد أخذ فى محاكمة أهل الأرض ، فحكم أن يكون العالم لمولانا تموجين، وأن يسمى جنكيز خان أى الملك العام) ثم التفت إلى تموجين وقال : (لبيك أيها الملك فإنك تدعى منذ الآن جنكيز خان بامر الإله)(٣٢) .

لذلك فقد كان الخان العظيم الجديد يعتقد جازما أنه يحمل تفويضا إلهيا ، وكان يقول فى كلماته الشهيرة التى رددها المغول فى كل مكان : (هناك شمس واحدة فى السماء ، وسيد واحد على الأرض)(٣٣) ويعنى بالسيد نفسه ، وهذا الإحساس بالتفويض الالهى كان مهما لتحقيق ما تطلع إليه جنكيز خان من انشاء مملكة كبيرة ، وامبراطورية عالمية .

ولما كان دينهم ـ الشامانية ـ ليس له كتاب ينير لهم طريق الحياة ، ويسيرون على هداه ، فقد أراد جنكيز خان أن يجمع أمة المغول على دستور يتبعونه فى حياتهم ، وفى معاملاتهم وأحكامهم هذا الدستور هو « الياسا »(٣٤) وهى مجموعة من التقاليد والأعراف السائدة عند المغول أكسبها

---

(٣٢) جورجى زيدان مرجع سبق جـ ٤ ص ٢٤١ .

(٣٣) ارتولد شبولر مرجع سبق ص ٢٦ .

(٣٤) الياسا او السياسا أو بالهاء فى اخر كلتا الكلمتين مكان الالف الاخيرة أو اليسق وصيغته الاكمل اليساق (بالمغولية جساق) وأصل الكلمة سى ياسا اللفظ الاول فارسى والثانى تركى ومعناه التراتيب الثلاثون لان سى بالفارسية معناها ثلاثون ، واستخدم المغول الكلمة سى ياسا فلما ثقلت عليهم قالوا سياسه ، انظر النويرى نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٣٧ حاشية ١ وقاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ حاشية ٢٦٤ .

جنكيز خان صبغة القانون ، وكان احترامها مفروضا على سكان الامبراطورية وعلى الخانات انفسهم(٣٥) ، وهى كالقران عند المسلمين لا يستجيزون ان يخلو بشىء منها(٣٦) والياسا مدونة فى طوامير محفوظة بخزائن كبار امراء البيت الحاكم ، ويخرجونها عند حدوث أمر هام فى الدولة كاعتلاء خان جديد للعرش أو إرسال جيش أو عند اجتماع الأمراء لاتشاور فى شئون الدولة ، وتصدر الأحكام وفقا لما فيها(٣٧) .

ويذكر ابن كثير أن الياسا مكتوبة فى مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وأورد ننقلا مما جاء فيها نقله عن المؤرخ جوينى ، والياسا عند ابن كثير من وضع جنكيز خان ـ والكثيرون يتوهمون ذلك ـ وجاء وضعها بطريقه غريبة لا تخلو من الطرافة ، فيذكر ابن كثير عن بعضهم أنه (كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعيى ، ويقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه) ويقول تعليقا على ذلك ، فالظاهر ان الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها(٣٨) .

هذا وكان من هذه الياسا نسخة بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ، روى المقريزى عن أحمد بن البرهان انه رآها ، وقد نقل عنه المقريزى ، ومما جاء فيها : (من تعمد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل ، ومن بال فى الماء

---

(٣٥) فاسيلى برتولد المرجع السابق ص ١١٣ .
(٣٦) الخضرى مرجع سبق ص ٤٦٨ .
(٣٧) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .
(٣٨) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١١٨ ولى ملاحظة على كتابات بعض المؤرخين المسلمين عن المغول أوردتها عند الحديث عن ديانة المغول وحضارتهم .

أو على الرماد قتل ، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها ، فإنه يقتل بعد الثالثة ، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل . ومن وجد عبدا هاربا أو اسيرا قد هرب ولم يرده على من كان فى يده قتل ...)(٣٩) .

وبجانب الياسا هناك « بيليك » (٤٠) جنكيزخان ، ويتضمن أقو اله وتعليماته ، وكانت موضوعا للمدارسة والمذاكرة ، ومما يدل على أهميتها ما يروى أنه قد حدث مرة بالصين أن كان العرش من نصيب أحد الأمراء ، لأنه كشف عن معرفة عميقة بهذا البيليك (٤١) .

موقف جنكيز خان من الأديان :

دعت الياسا الى : (تعظيم جميع الملل من غير تعصيب لملة على أخرى وأسقطت الكلفة والمؤونه عن الفقراء والقراء وأصحاب الزهد والعبادة)(٤٢) .

وعندما تقدم المغول لإسقاط دولة الخطا المجاورة وحاكمها « كشلوخان » رفعوا لواء الحرية الدينية ، فقد كان كشلوخان بوذيا وكانت زوجته مسيحية ، وعمل كشلوخان على إثارة مشاعر المسلمين الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة فى دولته، بمحاولة نشر البوذية التى كان يعتنقها ، كما حاولت زوجته المسيحية نشر دينها ، وكل ذلك كان على حساب الأهالى

---

(٣٩) المقريزى . الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ ـ ص ٢٢١ .
(٤٠) بيليك لفظ تركى معناه المعرفة . فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ١١٤ .
(٤١) المرجع السابق .
(٤٢) المقريزى مصدر سابق ج ٢ ص ٢٢٠ ـ ص ٢٢١ .

المسلمين (٤٣) ونجح المغول فى إسقاط هذه الدولة التى كانت تشكل فاصلا بينهم وبين العالم الإسلامى .

ولكن واقع التاريخ يثبت أن تصرفات المغول كانت أبعد ما تكون عما جاء فى الياسا من تعظيم جميع الملل ، وكان شعار حريه العقيدة الذى رفعوه عند غزو دولة الخطا شعارا اضطرتهم الظروف الى رفعه ، فمساجد المسلمين انتهكت حرمتها ، والمصاحف مزقت وديست ، والارواح البريئة زهقت والمصادر التاريخية الاسلامية منها وغير الاسلامية ناطقة بذلك وشاهدة على ما ارتكبه المغول من فظائع عند غزوهم للعالم الاسلامى بتعليمات من زعيمهم جنكيز خان وتحريض منه .

وإذا تتبعنا موقف جنكيزخان من الاسلام والبوذية والنصرانية نرى انه فى بداية حكمه وجد أن عليه الإفادة من الشعوب المتحضرة فى إدارة دولته ، نظرا لتأخر المغول فى المجال الحضارى ، وكان أول ممثلين للحضارة ببلاد جنكيزخان بعض التجار المسلمين الذين أسهمو ا فى وضع نظام الحرس الخاص (٤٤) واتخذ منهم السفراء بينه وبين سلطان الدولة الخوارزمية .

ولكن المغول مالوا إلى الأخذ بحضارة الإيغور فى المرحلة الأولى من بداية حكمهم فى عهد جنكيزخان فكانوا المعلمين الأول للمغول ، واستخدمت الأبجدية الإيغورية فى كتابة لغة المغول التى لم تكن تكتب حتى ذلك الوقت ، وكان الإيغور أول عمال للدولة فى امبراطورية المغول ، وفيما بعد دخل

---

(٤٣) حافظ حمدى مرجع سبق ص ١١١ .

عمال الإيغور الاقطار المتحضرة فى معية المغول ، فنراهم فى كل من الصين والبلاد الاسلامية ينافسون بنجـــاح اهالى البلاد الذين كانوا أوسع منهم ثقافة .

والايغور قبائل جاورت المغول منذ عهد مبكر ، وقد تسربت إليها رياح الحضارة من الصين ومن الهند (البوذية) ومن تركستان (المانويه والنسطورية) غير أن افتقارهم إلى حياة آمنة قد حال بينهم وبين أن يقيموا لأنفسهم حضارة قومية وطيدة البنيان ، وقد اعتنق بعض الايغور النصرانية ، واعتنق البعض الآخـــر البوذية ، ويرى بعض الباحثـــين أن عـــدد البوذيين الايغور يفوق عـــدد النصـــارى مـــنهم وأن ممثـــلى الطبقة المثقفة من الايغور الذين عملوا فى خدمة المغول كانت اكثريتهم من اتباع البوذية ، ولم يكن هناك أدنى عداء دينى بين البوذيين والنصارى من الايغور ، فقد كان الشـــعور القومى بينهما أقوى من الشعور الدينى ، ومن ناحية أخرى نرى أن كـــلا من البوذيين والنصـــارى كانـــوا أعـــداء ألداء للمسلمين (٤٥) .

أما النصارى من غير الايغور فى الاجزاء الأخـــرى مـــن الاسلامية فرصة للثأر من اعدائهم فى الدين ، وكان المسلمون فى عهد جنكيز خان يمثـــلون الأعـــداء الخـــارجين الأول لامبراطورية المغول ، ويقـــال إن جنكيزخان مال إلى جانب النصارى ، فقد روى ابن العبرى : (أن جنكيزخان صعـــد الامبراطورية فقد رأوا فى تدهور الإسلام وسقوط الأقطـــار إلى رأس تل عال ، وكشف رأسه ، ودعا الله أن ينصره على عدوه الخوارزمى ، وبقى على هذا التل ثلاثة أيام ، لم يـــذق

---

(٤٤) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ .
(٤٥) المرجع السابق .

فيها طعاما ، وفى الليلة الثالثة رأى فى منامه راهبا فى اثوابه السوداء ، وبيده عصا يقول له : « افعل ما شئت فإنك مؤيد » فانتبه جنكيز خان مذعورا ذعرا مقرونا بفرح ، وعاد إلى منزله ، وقص قصته على زوجته فطمأنته بأن مجيء هذا الراهب إليه بداية سعادته ، وقد استدعى جنكيز خان أحد الأساقفة إليه ، ففسر حلمه بان بين له أن من رآه فى منامه لم يكن إلا قديسا من القديسين ثم زين له رؤيته) ويضيف ابن العبرى (ولهذا كان جنكيز خان يكرم المسيحيين ويميل إليهم)(٤٦) ولعل زوجته هذه كانت مسيحية ، فقد ورد أنه تزوج ابنة رئيس قبيلة الكرايت المسيحية بعد أن تغلب عليها وكانت هذه القبيلة قريبة من موطن المغول(٤٧) .

وعندما وصلت إلى أوربا أخبار جنكيز خان وحروبه ضد المسلمين ، هلل المسيحيون هناك ، وظنوه على ملتهم ، بل راجت اشاعات قوية بأنه المسيح المنتظر الذى سيأتى من الشرق(٤٨) .

أما البوذية فقد تأثر المغول فى بلاد الصين بها واعتنقوها ، وكان جنكيز خان - بالرغم من اتصاله بأصحاب الديانات المختلفه ، وخدمة هؤلاء فى دولته - ينظر الى الأديان جميعا نظرة استخفاف وعدم مبالاة ، وظل متمسكا بديانته الشامانية ، يتضح ذلك من حرصه على اختيار من يتولى وظيفة كبير رجال الدين الشامانى أو بتعبير آخر أعلى مناصب

---

(٤٦) ابن العبرى : أبو الفرج الملطى . تاريخ مختصر الدول ص٤٠١ بيروت ١٩٥٨م .
(٤٧) د. فؤاد عبد المعطى الصياد مرجع سبق ص ٣٣٦ .
(٤٨) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ حاشية (١) .

السلطة الدينية ، وتزويده بالنصائح التى تؤدى الى احترام الجميع له ، وتنفيذ كلمته(٤٩) .

نأتى إلى موقف جنكيز خان من الاسلام ، أما موقفه من الاسلام كدين فيروى أنه بعد استيلائه على أقاليم الدولة الخوارزمية استدعى بعض العلماء المسلمين ، وسألهم عن حقيقة الاسلام وأركانه ، فقيل له إن أولها توحيد الله سبحانه وتعالى ، فقال أنا أيضا اعتقد أن الله واحد ، كذلك وافق على بقية أركان الاسلام ما عدا الحج ، إذ قال عنه إنه لا فائدة منه لأن الارض كلها لله ، ولا داعى لتخصيص مكان معين(٥٠) .

اما موقفه من المسلمين ، فقد كان موقفا ينم عن العداوة والبغضاء ، يدلنا على ذلك ما أوردته كتب التاريخ من حوادث يشيب من هولها الولدان ، اثناء إغارته على البلاد الاسلامية، فقتل من المسلمين الألوف المؤلفة(٥١) ، وخرب المدن الاسلامية التى كانت عامرة ، واعتدى على مقدسات المسلمين وأعراضهم ، وقد بلغ من هول هذه الأفعال أن ابن الاثير المؤرخ المسلم المعاصر لهذه الإغارات أحجم عن ذكرها فى كتابه التاريخى (الكامل) زمانا ، ويقول فى ذلك : (لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر

---

(٤٩) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٥٤ .

(٥٠) عباس العزاوى تاريخ العراق بين احتلالين جـ ١ ص ١٣٠ بغداد ١٣٥٣هـ = ١٩٣٥م .

(٥١) بلغ عدد القتلى على أيدى المغول فى الفترة بين سنتى ٦٠٨ - ٦٢٠هـ (١٢١١ - ١٢٢٣م) وهى الفترة التى غزا فيها جنكيز خان بلاد الصين فى الشرق والبلاد الاسلامية فى الغرب أكثر من ثمانية عشر مليونا. مصطفى بدر مرجع سبق ص ٧٥ وما بعدها .

ذلك ؟ فيالیت امی لم تلدنی قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، إلا أننی حثنی جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا ، فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق ، وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها ، لكان صادقا)(٥٢) .

فى عهد خلفاء جنگيز خان فى منصب قاآن :

أوكداى (٦٢٤ - ٦٣٩هـ = ١٢٢٧ - ١٢٤٨م)(٥٣) وقد اختاره أبوه جنكيز خان لتحليه بالصفات الحميدة وفضله على أخيه تولوى ذى المواهب العسكرية ، وعلى جغتاى الذى عرف بصرامته **فى تطبيق الياسا** ، ويثنى عليه المؤرخون المسلمون ثناء عاطرا لحسن معاملته للمسلمين ، وبعضهم يؤكد أنه كان يفضل الاسلام على بقية الأديان ، وكان يحمى المسلمين فى دولته من كيد أعدائهم ومنافسيهم من الصينيين والإيغور، وفى هذا الصدد تذكر قصة ذلك الإيغورى الذى أراد إرهاب أحد معارفه المسلمين ، وحمله على الدخول فى البوذية ، فقد أمر القاآن أوكداى بضرب الإيغورى مائة عصا فى السوق ، وأن تسلم زوجته ومنزله للمسلم (٥٤) ، ولعل القصة التى وردت فى البداية والنهاية » من أن رجلا كافرا جاء إلى قان - دون تحديد اسمه - وقال له : رأيت فى النوم أباك جنكيز خان فقال لى : قل لابنى قان يقتل المسلمين ، وكان القان يميل الى المسلمين مخالفا لأهل بيته ، فسأل الرجل : (هل تعرف

---

(٥٢) ابن الاثير الكامل ج ٩ ص ٣٢٨ .

(٥٣) وتسميه المصادر العربية أوكتاى أو أوكديه ، وذكر النويرى أن ولايته كانت سنة ٦٢٥هـ نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٢٨ .

(٥٤) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٦ هامشية ٣٨ .

المغولية ؟) فقال : (لا) فقال الملك له : (أنت كاذب لأن أبى ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية) وأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده(٥٥) .

وأرى أن القان الذى لم يحدد اسمه فى القصة هو أكداى الذى عرف بميله للمسلمين ، ويؤكد ذلك ان هذه القصة ذكرت فى مصدر آخر من مصادر التاريخ مع اختلاف فى بعض التفصيلات وذكرت أن القان هو أكداى(٥٦) .

وفى الوقت الذى كان فيه أوكداى يعامل المسلمين معاملة طيبة ، كان أخوه « جغتاى » على النقيض من ذلك ، وكان يبسط نفوذه على المناطق الاسلامية بآسيا الوسطى . وكان جغتاى يتمتع بتأثير كبير على أخيه القاآن ، لأنه أكبر أفراد البيت المالك سنا ، وكان حريصا على تطبيق الياسا على الجميع فى دولة المغول ، ولذلك لم يكن بوسع المسلمين الوضوء فى المياه الجارية ، أو أن يذبحوا البهائم وفقا لشريعتهم إلا فى السر ، ولم يقتصر الأمر على المناطق التى كانت تحت سلطانه ، بل تعداه إلى المناطق الأخرى ، مما اضطر عددا كبيرا من المسلمين إلى أن يأكلوا لحما كانوا يعدونه ضربا من لحم الميتة ، وكان القاآن يحتال لانقاذ المسلمين من براثن جغتاى عند خروجهم على تعاليم الياسا ، من غير أن يلجأ إلى استعمال سلطته المباشرة كقاآن ، ولا أن يحاول حماية الجناة الخارجين على تعاليم الياسا جهرة(٥٧) .

---

(٥٥) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٢٠ .

(٥٦) المصدر الاخر هو طبقات ناصرى لجوزجانى ترجمة رافرتى جـ ٢ ص ١١٠٧ - ص ١١١٤ نقلا عن فاسيلى يرتولد مرجع سبق ص ٦٦٠ .

(٥٧) المرجع السابق ص ٦٦٠ - ص ٦٦١ .

كويوك (٦٤٤ - ٦٤٦ هـ = ١٢٤٦ - ١٢٤٨م)(٥٨) وكان متأثرا بالمسيحية ، ويظهر محاباه عظيمة للمسحيين مدى حياته ، ويرجع ذلك إلى أن الذى تولى تربيته رجل مسيحى هو « قداق » ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير وزير مسيحى هو « جبيغاى » الذى أحسن إلى المسيحيين دون سواهم من اتباع الديانات الأخرى .

هذا وقد اعتبر اختيار كويوك انتصارا للمسيحيين ، وحضر اختياره المباشر « جيوفانى دى بلانو كاربينى » وترك وحضر اختباره المبشر ، وموكب السفارات من الدول الأجنبية انطباعا لدى كويوك بتفوق الأمة المغولية من جهة ، ومن جهة أخرى اعتقد أن البابا والملك لويس التاسع ملك فرنسا يتسرعان لوضع نفسيهما تحت حمايته وسلطته ، ويظهر هذا الاعتقاد بوضوح فى الخطاب الذى سلمه كويوك إلى بعثة البابا(٥٩).

رأى البابوات وأهل الغرب أن المغول أصبحوا منذ اوائل القرن الثالث عشر خطرا يهدد القارة الأوربية وأن خير وسيلة لاتقاء شرهم ، هى العمل على كسبهم إلى الكاثوليكية، واستمالتهم إليهم فى حرب صليبية مشتركة ضد الاسلام فى الشرق ، فى وقت كان فيه الصليبيون فى الشام يتلقون أشد الضربات من المسلمين ، وكانت أوربا الغربية تستجدى العون

---

(٥٨) يرى النويرى أن موت أوكداى أو أوكديه سنة ٦٣١هـ نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٤٥ . اما رشيد الدين فيرى وفاته سنة ٦٣٩هـ جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ . وكان العرش خاليا فى الفترة من ٦٣٩ - ٦٤٤هـ للاختلاف حول من يتولى منصب القاآن ، وكانت الملكة « توراكينه » أرملة أوكداى تتولى تصريف شئون الامبراطورية حتى تم انتخاب القاآن الجديد فاسيلى برختولد مرجع سبق ص ٦٧١ .

(٥٩) هذه الرسالة محفوظة فى أرشيف الفاتيكان . برتولد شبولر مرجع سبق ص ٤٠ - ص ٤١ .

لحملة صليبية جديدة ، واذا ما نجحت أوربا فى تحويل المغول إلى المسيحية قويت جبهتهم ، وأصبحت الأراضى المقدسة واقعة بين المغول وأوربا ، فلا يكون هناك مفر من بقائها فى قبضة المسيحيين بقاء دائما ، ثم إن المغول أصبحوا طرفا فى الصراع الدائر فوق أراضى المشرق العربى .

وتنفيذا لهذه السياسة أرسل البابا « انوسنت الرابع » اثناء انعقاد مجلس ليون الكنسى سنة ١٢٤٥م (٦٤٣هـ) عدة سفارات إلى المغول أخفقت فى تحقيق أهدافها المرجوة - وستوضح الفقرات التالية أسباب ذلك - وإن كانت قد أبعدت الخطر المغولى عن أوربا .

وتجددت المفاوضات بعد ذلك بفترة قصيرة ، ففى أثناء إقامة الملك الفرنسى لويس التاسع فى جزيرة قبرص أواخر عام ١٢٤٨م (٦٤٦هـ) ، وقبل ابحاره فى حملته الصليبية إلى مصر ، أرسل له أحد حكام المغول فى وسط فارس ، وهو ايلجيغداى آو ايلجيداى ، سفارة تحمل رسالة يطلب فيها الاشتراك مع المسيحيين فى حملة صليبية كبيرة للاستيلاء على بيت المقدس من العرب(٦٠) وكان ايلجيغداى قد أرسله كويوك فى حملة ضد الاسماعيلية ، وضد الخلافة العباسية ببغداد ، وقد بعث بمبعوثين الى لويس ملك فرنسا وانبأ المبعوثان لويس بأن والدة كويوك نصرانية ، وأن كويوك نفسه قد اعتنق النصرانية ومعه ثمانية عشر من أمراء البيت

---

(٦٠) د. جوزيف نسيم يوسف الاسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ دار الفكر الجامعى الاسكندرية نقلا عن

A. S. A tiga jhe Crasode In the later Middle Ages londou 1938 238ff

والنظر د. سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية جـ ٢ ص ١٠٩٨ القاهرة ١٩٦٣م .

الحاكم ، وعـدد كبير من النبـلاء المغول ، وأيلجيغدى جرى تعميده منذ أعـوام طويلة ، وأنه الآن فى طريقه الى بغـداد ليثأر من الإساءة التى وجهها الخوارزميون فى حق سـيدنا يسوع المسيح(٦١) .

ورجا ايلجيغداى الملك لويس فى رسـالته ألا يميز بين النصارى من مختلف المذاهب ... لأنهم يتمتعون بالمساواة فى دولة المغول ، وقد نالت فكرة التحالف مع المغول الذين اعتنقوا المسيحية ضـد المسلمين القبول والاستحسـان من لويس ، فأرسـل بمبعوثيه إلى منغوليا ، غيـر أن رجاء المغول فى أن يشمل مبـدأ التسـامح المذاهب المسيحية الأخـرى - غيـر الكاثوليكية - قـوبل بالرفض القاطع من قبـل البابوية ، وسلم أسقف « توسكولوم » المدعو « أودون » وكان ممثلا للبابا فى معسكر لويس ، سلم مبعوثى المغول رسـائل الى كل من القاآن وأمـه وايلجيغداى وكبار رجال الكنائس الشرقية ، وقد ورد فى هذه الرسائل أن كنيسة روما سترحب بهم كابناء بررة على شريطة أن يتبعوا مبادىء الكاثوليكية ، ويعترفوا بكنيسة روما أما لجميع الكنائس ، وبرأسها مفوضا من يسوع المسيح نلزم له الطاعة ممن يعتبرون أنفسهم نصارى .

وهكذا كان الاختـلافَ المذهبى هو الصخرة التى تحطم عليها الوفاق المغولى الصليبى ضـد المسلمين ، وجـاء موت كويوك ليقضى على آية بارقة أمل فى وفاق جديد ، وأتخـذ القاآن الجديد مونكو سياسة مختلفة عن سابقه .

---

(٦١) ذلك أن الاتراك الخوارزميين الذين غادروا بلادهم مع جلال الدين منكبرتى التحقوا بعد موته بخدمة البيت الايوبى بمصر ، وفى عـام ١٢٢٢م طردوا الصليبيين للمرة الثانية من بيت المقدس . فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٩٥ حاشية رقم (١٨٩) .

ويرى أحد الباحثين أن كلا من المسيحيين فى أوربا والمغول . كان يعمل على استغلال الآخر لمصلحته الخاصة فاذا نظرنا الى المغول نجد أنهم منذ وقت غير قريب ، أخذوا فى وضع الخطط الأولية لتكوين امبراطورية قوية لهم تدخل فى نطاقها بلاد الشام والعراق ، وكانوا يعرفون مبلغ الضعف الذى وصلت إليه الخلافة العباسية فى بغداد آنئذ ، وأنها لابد أن تسقط عند أول ضربة توجه إليها ، وأدركوا أيضا أن مصر باعتبارها زعيمة العالم العربى ، يستحيل أن تقف موقف المتفرج ، بل ستهب لصد عدوانهم الذى كان يهددها هى الأخرى تهديدا مباشرا ، لذا وجدوا أن أسلم الطرق لتحقيق مآربهم فى رقعة الشرق (الاسلامى) هى العمل يدا واحدة مع الصليبيين الغربيين للقضاء على سلطان مصر ، وإزالة قوتها من الميدان ، وكان طبيعيا أن يرحب مسيحيو أوربا أو اللاتين بذلك ، بل كان هذا ما يتمناه ملك فرنسا الذى أوفد بعثتين بين سنتى ١٢٤٩م (٦٤٧هـ) و ١٢٥٢م (٦٥٠هـ) الى المغول لم يكن مصيرها بأحسن من مصير السفارات السابقة(٦٢) .

وأود أن أقول لو كان دافع المصلحة الشخصية والاستعمار وحده كافيا ، لنجح التحالف ، ولكنه فشل لسبب دينى وهو الخلاف المذهبى ، مما يدل على أهمية الدافع الدينى ، وأنه محرك قوى للأحداث التى نحن بصددها .

واذا كان تحالف المغول مع مسيحيى اوربا قد فشل أمام التعصب المذهبى ، فان تحالفهم مع المسيحيين فى مملكة أرمينية الصغرى (قليقية) كان ناجحا الى أبعد الحدود ، وهذا التحالف لم يكن بين ندين فى حقيقة الأمر بقدر ما كان طلبا للحماية والتبعية من قبل هذه المملكة المسيحية الصغيرة

---

(٦٢) جوزيف نسيم يوسف ،مرجع سبق ص ٢٢٩ ، ص ٢٣٠ .

التى وجدت نفسها بين دولتين مسلمتين دولة الروم السلاجقة فى الشمال ، ودولة المماليك فى الجنوب ، وقد شجع هذه الدولة على خطب ود المغول ما لمسوه منهم من تسامح تجاه المسيحيين ، وقدروا أنهم ربما استطاعوا عن طريقهم استخلاص بيت المقدس وبلاد الشام من المسلمين ، وقد رأوا قوة المغول وهزيمة السلاجقة امامهم سنة ١٢٤٣م .

وسنحت أمام هيتوم الاول ملك آرمينية الصغرى (٦٢٣ - ٦٦٩هـ = ١٢٢٦ - ١٢٧٠م) فرصة انعقاد القوريلتاى الذى يختار القاآن الجديد ، فأرسل آخاه سمباذ الى قراقورم، وشهد انتحاب كيوك قاآنا للمغول ، وقد احسن كيوك استقباله ، ولما سمع منه آن أخاه هيتوم مستعد لأن يعتبر نفسه من أتباع الخان الكبير ، وعد بأن يساعد الأرمن فى سبيل استرداد ما انتزعه السلاجقة من المدن غير أن وفاة كيوك حالت دون تنفيذ ذلك الوعد(٦٣) .

لم يكن حكم كويوك قصير الأمد خيرا للاسلام ، بل كان - كما سبق القول - انتصارا للمسيحية ، وقد هرع الى بلاطه النصارى من جميع الانحاء ، وترك أمر الحل والعقد فى أمور الدولة فى يدى « قداق » و « وجينغاى » المسيحيين ، واستغل المسيحيون هذا الوضع فى مهاجمة الاسلام مهاجمة عنيفة ، من غير أن يجرؤ المسلمون على معاملتهم بالمثل ، ونقل المستشرق « فاسيلى برتولد » عن أحد المؤرخين المسلمين أنه بلغ من عداوة كويوك للاسلام والمسلمين ، أنه أصدر قرارا بخصى جميع المسلمين وجبهم ، عملا بنصيحة راهب بوذى يدعى « توين » وعندما كان الراهب يحمل نص القرار ، هاجمه

---

(٦٣) ستيفن رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية الترجمة العربية جـ٣ ص ٥٠٧ - ص A - بيروت ١٩٦٩م .

كلب شرس فمزقه شر ممزق ، وكان لهذا الجزاء العادل من الله اثره فى نفس كويوك مما جعله يعدل عن قراره(٦٤) .

ومن القصص التى تساق للتدليل على كيد النصارى للمسلمين فى دولة المغول واعتدائهم عليهم ، ما روى أن النصارى أغروا كويوك بأن يدعو إماما من ائمة المسلمين ، اسمه نور الدين خوارزمى ، ليناظرهم فى الدين . وجرت المناظرة فى حضرة كويوك على النحو التالى :

النصارى : بين لنا أى ضرب من الناس كان محمد ؟

الإمام : محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين ، قال عنه موسى الذى أعجب بمناقبه : (اللهم اجعلنى من أمة محمد) وبشر عيسى (برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

النصارى : إن النبى هو من يعيش عيشة روحانية خالصة ، وليس له تعلق بشهوة النساء أو اهتمام بهن ، كما كان عيسى مثلا ، هذا بينما كان لمحمد تسع من النساء وعدد من الأولاد . فكيف تفسرون ذلك ؟

الإمام : لقد كان للنبى داود عليه السلام تسع وتسعون من الزوجات ، وكان لسليمان ثلثمائة حليله وألف سرية .

---

(٦٤) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٨ - ص ٦٧٩ وقد نقل عن المؤرخ المسلم جوزجانى ؛ عثمان بن محمد طبقات ناصرى ترجمة رافرتى جـ٢ ص ١١٣٤٨ - ص ٢١٦٤ .

النصارى : هذان لم يكونا من الانبياء بل من الملوك(٦٥) .

وفى اخر الامر أوقف النصارى المناظرة ، والتمسوا من كويوك أن يأمر الإمام بإقامة شعائر الصلاة جماعة ، فدعا الامام احد المسلمين ، وشرعا فى الصلاة ، وجهد النصارى بكافه الوسائل فى إعاقة صلاتهم ، وانهالوا عليهم ضربا عند السجود ودقوا رأسيهما بالأرض ، ولكنهما لم يقطعا صلاتهما ، وبعد ان سلما انصرفا بهدوء .

وواضح أن الغرض هو الاستهزاء بالمسلمين والاستخفاف بعبادتهم وإهانتهم بدافع التعصب الدينى وفى نفس هذه الليلة هلك كويوك جزاء ما جنت يداه فى حق الامام ... على تعبير المصدر التاريخى ـ وفى اليوم التالى اعتذر أولاده للامام وجهدوا فى ترضيته(٦٦) .

ويقال إنه كان قد تحرك بجيشه لقتل باتو الذى لم يقسم له يمين الطاعة فمات فى الطريق(٦٧) .

مونكوخان (٦٤٦هـ ـ ٦٥٧هـ = ١٢٤٨م ـ ١٢٥٩م) ذكر النويرى أنه كان يدين بدين النصرانية ، بينما ذكر رشيد الدين أنه كان بوذيا(٦٨) ، وقد لاحظ المستشرق فاسيلى برتولد ـ بناء على ما توفر لديه من روايات ـ أن كلا من أتباع

---

(٦٥) كذب يخالف صريح القرآن الكريم ، أما ادعاء أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان شهوانيا ففريه طالما ردها الضالون والمضللون من أعداء الاسلام ، وتكفل العلماء والمحققون بالرد عليهم وافحامهم .

(٦٦) فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٧٩ ، ص ٦٨٠ نقلا عن جوزجانى مصدر سبق جـ٢ ص ١١٦٠ ـ ص ١١٦٤ .

(٦٧) المرجع السابق ، ويرى النويرى انه مات مقتولا نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٤٦ ، اما رشيد الدين فيرى انه مات ميتة طبيعية جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨٠ .

(٦٨) النويرى نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٥٥٣ ورشيد الدين جامع التواريخ جـ ١ ص ٤٨١ .

الديانات المختلفة كان يعد القآن (مونكو خان) من ملته ، ولكنه كان شامانيا يرى أن جميع الأديان جديرة بالاحترام والتقدير ، ولم يسمح البتة باضطهاد أحد من الناس بسبب العقيدة ، كذلك لم يحس من نفسه اى دافع لقسر اتباع الديانات الأخرى على الالتزام بقواعد الياسا(٦٩) .

وعلى ذلك استقبل المسلمون فى عهده - فى رأى هذا المستشرق وأمثاله - عصرا من الحرية الدينية بعد الاضطهاد والتعصب فى عهد سلفه كويوك ، وأصبح المسلمون فى مأمن من مؤمرات الحاقدين المتعصبين فقد بسط ظل حمايته عليهم ، ومن الحوادث التى تذكر تدليلا على ذلك ، المحاكمة التى جرت لأديقوت - أى رئيس - الإيغور وكان قد دبر مؤامرة تهدف الى قتل جميع المسلمين ببلاده أثناء صلاة الجمعة ، وقيل ان الملكة الوصية « أوغل غايميش » هى التى أمرته بذلك ، وقد قام مونكو خان بمحاكمته بنفسه ، وحكم عليه بالاعدام ، واعدم معه اثنان من الكبار(٧٠) .

وحوادث التاريخ تجعلنا لا نسلم بأنه كان متسامحا فى معاملاته للمسلمين ، أو أنهم عاملهم معاملة طيبة ، أما حادثة ايدقوت الإيغور - ان صحت - ففى رأيى أن لها ملابساتها ولا تؤخذ دليلا على حماية المسلمين من اعدائهم ، وحسن معاملتهم . وهذه الملابسات هى وجود الملكة « أوغل غايميش» أرملة كويوك كطرف فى هذه المؤامرة - على ما قيل - فقد كان

---

(٦٩) فاصيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٨٥ ، ٦٨٦ .
(٧٠) المرجع السابق .

منكو خان لا يحسن معاملتها ويسىء الظن بها(٧١) ، ومن هنا كانت شدته مع المتآمرين .

ويثبت التاريخ أنه كان شديدا وقاسيا على المسلمين ، وفى عهده قوى الاتصال بين المسيحيين فى أوربا والمغول وقد أراد المسيحيون أن يتخذوا من المغول قوة لتحطم القوى الاسلامية والانتقام من المسلمين بعد الضربات العنيفة التى لحقت بهم على أيدى صلاح الدين وخلفائه ، ولهذا أخذوا يرسلون سفراءهم الى بلاط قاآن المغول ، ومن هذه السفارات السفارة التى أرسلها لويس التاسع ملك فرنسا برئاسة أحد رجال الدين واسمه (وليم رو بروق) وقد رحل من عكا سنة ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) ووصل الى عاصمة الامبراطورية المغولية قراقورم ، واستقبله القاآن منكو استقبالا حسنا ، وسمح له أن يناظر العلماء البوذيين والمسلمين فى حرية تامة ، غير أنه لم يعطه جوابا مقنعا فيما يتعلق بتكوين اتحاد بين المغول والمسيحيين ضد المسلمين ، وطلب إليه أن يسارع لويس مع جميع الملوك المسيحيين إلى الدخول فى طاعته ، وكانت سياسة القاآن منكو الخارجية تقوم على اعتبار أصدقائه أتباعا له أما اعداؤه فينبغى القضاء عليهم أو اخضاعهم حتى يكونوا أتباعا له فقد كان القاآن لا يقبل أن يكون فى العالم سيد سواه(٧٢) .

وكان طبيعيا أن يرفض لويس هذا الشرط ، وهكذا تحطم

---

(٧١) مما يدل على ذلك رسالة منكوخان الى لويس التاسع التى ينكر فيها لسياسة التحالف التى اتبعها سلفه معهم ، ووصف فيها الملكة أوغل غايميش التى كانت قد استقبلت سفارة لويس بالعطف - بأنها امرأة شريرة أسوأ من كلبه ، وأبى لها أن تعرف شيئا فى شئون الحرب والسلم أو مصالح الدولة . فاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٩٥ ، ص ٦٩٦ .

(٧٢) ستيفن رنسيمان مرجع سبق جـ٣ ص ٥١٠ - ص ٥١٢ وما

مشروع التحالف بين أوربا والمغول على صخره الاستعلاء والرغبة فى السيادة على الجميع من قبل المغول فى عهد منكو خان ، كما حطمه من قبل التعصب المذهبى من قبل البابوية فى عهد كيوك خان ، وقد كان لدى كيوك خان شيئا من اعتقاد السيادة على الجميع فى بداية حكمه ولكن يبدو انه كان على استعداد للتغاضى عن ذلك أمام التحالف ضد المسلمين بدافع من تعصبه الشديد ضدهم .

ووجد المغول فى شخصية هيتوم الاول ملك أرمينية الصغرى حليفا مسيحيا لا يأنف من الخضوع لهم فى سبيل تحقيق آماله فى النيل من المسلمين ، وما ان علم هذا الملك بتولية قاآن جديد قوى وهو منكو خان حتى سارع بنفسه الى عاصمة المغول ، وقدم نفسه على أنه تابع للقاآن ، ونظير ذلك نال عند منكو خان منزلة سامية ، فأقام له حفل استقبال رسمى ، وجعله كبير مستشارى الخان المسيحيين فى كل ما يتعلق بأمور غرب آسيا ، ووعده باعفاء الكنائس والأديرة المسيحية من الضرائب بالاضافة الى وثيقة تكفل السلامة لشخصه ومملكته .

وبذل الملك هيتوم الأول خلال المدة التى أقامها فى عاصمة المغول جهودا مكثفة لإقناع القاآن بالقيام بحملة مشتركة ضد المسلمين ، ووافق القاآن أمام الحاحه على مساعدة المسيحيين، وكلف أخاه هولاكو بالسير الى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية لاسقاطها ، كما تعهد بأن يعيد بيت المقدس الى المسيحيين إذا ما تعاونوا مع المغول تعاونا كاملا(٧٣) .

---

(٧٣) د. الصياد المرجع السابق ص ٢١٥
الصياد مرجع سبق ص ٢١٢ .

وهكذا تحالفت الصليبية مع الوثنية ضد المسلمين ، ودخل هولاكو بغداد تحت راية أخيه وسيده منكو خان وصب الغزاة جام حقدهم على المدينة ، وقتلوا من المسلمين الأعداد الهائلة ، ودمروا من مظاهر الحضارة الاسلامية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولم ينجح منهم أحد سوى النصارى والشيعة ، واختلف الناس فى عديد من قتل من المسلمين ببغداد فى هذه الواقعة فقيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف الف ، وقيل ألفى الف نفس(٧٤) ، واستطاع المسيحيون أن يعيدوا بناء كنائسهم بعد ذلك وفى ظل دولة المغول ، وأن يعقدوا احتفالاتهم ومواكبهم الدينية العامة .

وكانت روح التعصب ضد الاسلام فى عهد منكو خان واضحة المعالم ، ولم تكن قاصرة على الطبقات العامية من الناس ، بل ظهرت فى أوساط الطبقة الحاكمة ، وبين أفراد البيت الحاكم نفسه ، والمثال الواضح على ذلك ما حدث عندما دخل بركة خان ـ عاهل المملكة التترية فى جنوب روسيا أو مملكة القبائل الذهبية ـ الاسلام وهو من أسرة جنكيز خان(٧٥) وقد أثار دخوله الاسلام حفيظة أمير مغولى مسيحى هو « سرتاق » ابن أخى بركة وكان يعد الرجل الثانى فى امبراطورية المغول فى عهد القاآن منكو ، فوجه الى عمه بركه حديثا عبر فيه عن عدائه الشديد للاسلام حيث قال له : (انت مسلم وآنا نصرانى ، وإنى لأطير برؤية وجه المسلم)(٧٦).

---

(٧٤) ابن كثير البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٠٢ الذهبى دول الاسلام جـ٢ ص ١٢٣ حيدر اباذ الذكن ١٣٣٧هـ .

(٧٥) النويرى نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٥٦ وبرتولد شبولر مرجع سبق ص ٥٠ ـ ص ٥١ وبركة خان أول من دخل الاسلام من هذه الاسرة .

(٧٦) فاسيلى برتوله مرجع سبق ص ٦٩٢ .

هذا وقد عامل منكو خان النصارى فى دولته معاملة كريمة لم يظفر بها غيرهم ، فقد كانت أمه نصرانية ، لذلك فقد أسند تعليم ولده الأكبر الى رجل نصرانى ، وكان كبير وزرائه بلغاى نصرانيا أيضا .

أما موقف المغول من اليهود فتشير المراجع الى أنهم عوملوا معاملة سيئة ، فقد أعفى رجال الدين من مختلف الملل من كل الضرائب فى عهد منكو خان باستثناء اليهود وحدهم، ويبرر بعض الباحثين ذلك بأن بلاط الخان لم يكن به ممثلون لليهود يتشفعون لهم عند القاآن بينما وجد للمسلمين والمسيحيين والبوذيين ممثلون(٧٧) وهذا تبرير للظلم بظلم آخر وهو حرمان تمثيلهم فى بلاط القاآن .

ولعل ما نال اليهود من ظلم على أيدى المغول يفسر موقفهم من غزو المغول لبغداد ، فقد حاربوا مع المسلمين حتى آخر لحظة . وقاسوا معهم ويلات المذابح التى أعقبت سقوط بغداد(٧٨) على أن موقف اليهود بدأ يتغير تدريجيا نحو التقرب من المغول ، فنجدهم فى بلاد الشام يوقعون الأذى بالمسلمين أثناء الغزو المغولى ، كما فعل النصارى ، وان كان ذلك بدرجة أقل ، ولذلك عندما انتصر المسلمون فى موقعة عين جالوت ، وبدأ المغول ينسحبون من الشام ، أخذ المسلمون ينتقمون ممن تحالف معهم ، فانتقموا من النصارى ، ثم هموا بنهب اليهود فنهب قليل منهم ، ثم كفوا عنهم لأنهم لم

---

(٧٧) المرجع السابق ص ٦٨٦ ـ ص ١٨٧ والحاشية رقم ١٤٢ .
(٧٨) د. عبد السلام عبد العزيز فهمى تاريخ الدولة المغولية فى ايران ص ١٣٠ .

يصدر منهم ما صدر من النصارى(٧٩) . وقد تزايد التقارب بين اليهود والمغول بعد ذلك(٨٠) .

قوبيلاى (٦٥٨ - ٦٩٣هـ = ١٢٦٠ - ١٢٩٤م) :

بعد موت مونكو خان سنة ١٢٥٩م (٦٥٧هـ) تم اختيار قاانين في وقت واحد ، هما قوبيلاى فى الصين وأريغ بوكا فى منغوليا ، وحدث قتال بينهما ، وتم النصر لقوبيلاى على أريغ بوكا ، واعلن خضوعه سنة ١٢٦٤م (٦٦٣هـ) (٨١) وقد استمر قوبيلاى فى منصبه حتى سنة ١٢٩٤م (٦٩٣هـ)(٨٢) ولم يكن على مستوى من سبقه فى منصب القاان قوة ونفوذا على الرغم من طول فترة حكمه ، ويرى النويرى « أنه بعد وفاة مذكوخان استقل كل ملك من ملوك التتار بنفسه ، وانفرد بمملكته ، بعد أن كان الجميع يدخلون تحت طاعة من ينتصب

---

(٧٩) محمد كرد على خطط الشام ج ٢ ص ١٠٧ - ص ١٠٨ الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

(٨٠) بلغ تقارب اليهود مع الحكام المغول أوجه فى ايلكخانية ايران فى عهد « ارغون خان » (٦٨٣ - ٦٩٠ هـ = ١٢٨٤ - ١٢٩١ م) حيث شغل منصب الوزارة لهذا الملك « سعد الدولة اليهودى » وتعاون الاثنان فى العمل ضد المسلمين ، وذاق المسلمون فى هذا العهد صنوف الاذى والتعذيب والقتل ، وبلغ حقد هذا اليهودى على الاسلام والمسلمين درجة التفكير فى هدم الكعبة المشرفة ، واحلال معبد بوذى (بت خانه) محلها ، وقد انتهى امر هذا الوزير بالعزل ثم القتل اثناء احتضار ارغون خان على أيدى أمراء المغول لاهداف سياسية ، وفرح المسلمون لمقتله فرحا عظيما . ذ . عبدالسلام فهمى مرجع سبق ص١٧٥ - ص١٧٧ .

(٨١) يرى النويرى أن ارنيكا (اريغ بوكا) بعد هزيمته سقى سما فمات . نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٥٢ وفاسيلى برتولد مرجع سبق ص ٦٩٩ وما بعدها .

(٨٢) رشيد الدين جامع التواريخ ج ١ ص ٦٦١ ويرى النويرى أنه مات سنة ٦٨٨هـ ١٢٨٩م نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٥٥ .

على تخت القانية ويأتمرون بأمره »(٨٣) هذا وقد اعتنق قوبيلاى البوذية وزاد نفوذها زيادة كبيرة(٨٤) .

أما موقف قوبيلاى من المسلمين ، وبخاصة فى بلاد الصين الذى كانت تحت حكمه المباشر ، فهناك ما يشير الى تقديره للمسلمين وتوليه بعضهم مناصب الدولة ، ومن هؤلاء « السيد اجل شمس الدين » الذى أسند إليه ادارة مقاطعة يونذان بجنوب الصين الغربى ، وعندما ذهب بعض الموظفين العاملين تحت إدارة شمس الدين الى قوبيلاى للشكوى زاعمين أن شمس الدين طاغية مستبد ، أدرك قوبيلاى أنها شكوى كيدية ولا أساس لها من الصحة ، لذلك أمر بتكبيل هؤلاء الشاكين بالأغلال والقيود ، ثم أعادهم الى شمس الدين — الذى كان يتميز بحسن السياسة — فعفا عنهم ، وأعادهم الى مناصبهم، مما كان له أكبر الأثر فى اخلاصهم له بعد ذلك(٨٥) .

هذا وسيتركز الاهتمام على الممالك المغولية الفتية التى تفرعت عن الامبراطورية الأم لتوضيح علاقة المغول بالاديان، وسنختار منها مملكتين هما مملكة القبائل الذهبية ، وايلكخانية ايران ، لأهمية هاتين المملكتين ولأن صراع المسلمين مع البوذيين والمسيحيين فيهما كان واضح المعالم بارز القسمات ، وتمثل أحدهما الجانب الاسلامى (مملكة القبائل الذهبية) وتمثل الثانية الجانب البوذى والمسيحى فى آن واحد (إيلكخانية ايران) .

---

(٨٣) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٤٧ .
(٨٤) د. الصياد مرجع سبق ص ٣٣٦ .
(٨٥) المسلمون فى الصين ص ١١٥ — ص ١١٨ اصدار مجلة «بناء الصين » سلسلة ثقافية (١) الطبعة الاولى بكين ١٩٨٢م .

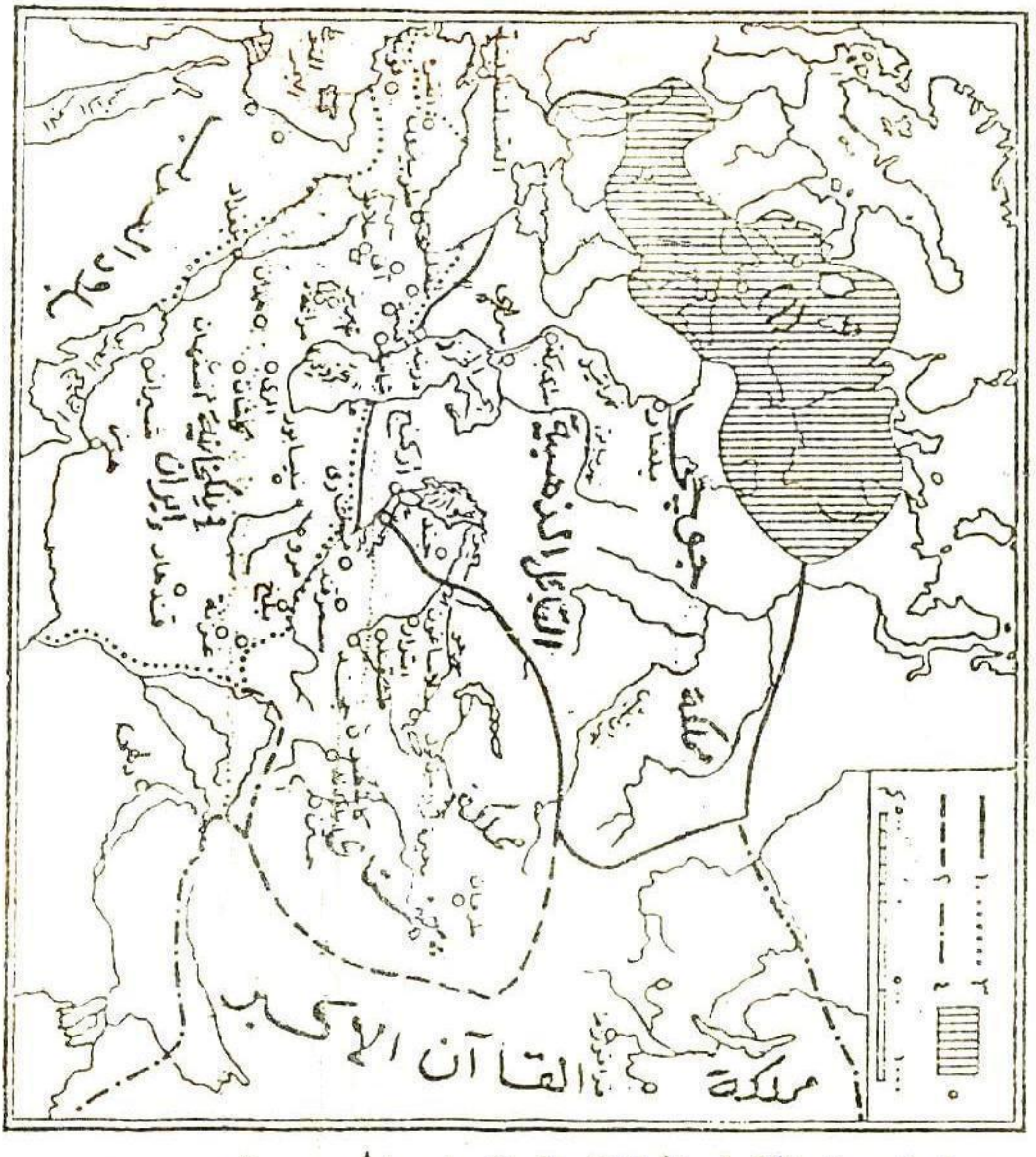

امبراطورية المغول فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى)

الإمارات الروسيه الخاضعة للقبائل الذهبية

مملكة القبائل الذهبية :

قيل إنها دعيت بهذا الاسم نسبة لمخيمة الخان المذهبة، وكانت هذه المملكة ببلاد الشمال ونواحى الترك والقفجاق ، وعاصمتها حراى أو سراى على الشاطىء الأيسر لنهر الفولجا، وحاكمها بركة خان (٦٥٢هـ ـ ٦٦٥هـ = ١٢٥٧ م ـ ١٢٦٧م) وهو ابن باتو بن جوجى بن جنكيز خان ، أسلم وحسن إسلامه ، وأظهر شعائر الاسلام ـ كما يقول النويرى ـ وأكرم الفقهاء وأدناهم ، وابتنى المساجد والمدارس بنواحى مملكته ، وأول من دخل دين الاسلام من عقب جنكيز خان ، ولما أسلم ، أسلم أكثر قومه ، وأسلمت زوجته « ججك خاتون » واتخذت لها مسجدا من الخيام تسافر به(٨٦) ، وقد خسرت المسيحية كل نفوذ لها بعد تحول بركة الى الاسلام ولم تقم المبوذية قائمة أبدا فى هذه الانحاء(٨٧) .

إيلكخانية إيران :

وتضم خراسان وفارس والعراق العجمى وأذربيجان وديار بكر وبلاد الروم وبلاد أخرى ، وتولى حكمها الايلكخان(٨٨) هولاكو (٦٥٨ ـ ٦٦٣هـ = ١٢٥٩ ـ ١٢٦٤م) وكانت مدينتا تبريز ومراغه عاصمتى هذه الايلكخانية(٨٩) .

كان هولاكو لا يتقيد بدين من الأديان(٩٠) وان كان يميل

---

(٨٦) النويرى نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٥٦ ـ ص ٣٥٩ وابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ .

(٨٧) برتولد شبولر مرجع سبق ص ٩٥ .

(٨٨) الايلكخان نائب الملك المرجع السابق ص ٥١ .

(٨٩) النويرى نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٩٢ ـ ص ٣٩٣ .

(٩٠) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٨ .

ميلا ظاهرا الى البوذية ، وان لم يتخذها دينا بصفة رسمية ، لهذا فقد استقر فى بلاطه عدد من الكهنة البوذيين الذين كانوا يدعون من قبل المغـول « بخشيس » وفى نفس الوقت أبدى تعاطفا كبيرا للمسيحية ، وقد اعتنقت زوجته « دقوز خاتون » هذه الديانة ، وكان يشترك بنفسه فى الأعياد المسيحية ، ويحضر القداس ، وقد أجاز بناء كنيسة صغيرة فى البلاط الملكى ، وأوقف الأوقاف لمصلحة الكنائس ، كما فضل المسيحيين على المسلمين فى المعاملة ، وتمتعت الطوائف المسيحية المختلفة بعطف الحاكم وتضاعف عدد أبرشياتهم، وزاد نفوذهم وتعاظم ، وأصبح لهم الحق فى السير فى مواكبهم علنا ، وان يرمموا كنائسهم وأديرتهم ويوسعوها(٩١) .

لكل هذا نجد شخصية الايلكخان هولاكو (قد أحيث آمال المسيحيين فى أوربا فى العصور الوسطى فى ظهور « يوحنا الشرقى » أى رجل الدين الذى يملك ثروات خيالية ، واعتقد البابوات ولعدة سنوات أن باستطاعتهم كسب الايلكخانات بتحويلهم الى المسيحية ، ومنذ وصول أول خبر عن قدوم المغول ، عمد البابا « غريغوريوس التاسع » ومن بعده البابا « انسنت الرابع » الى فكرة الاعتماد على عساكر ملك المغول الخيالية فى كسر شوكة الاسلام ، وجعلوا هذا هدفا من أهدافهم التى يرجون تحقيقها »(٩٢) .

وحقق هولاكو لمسيحيى أوربا آمالهم التى كانوا يتمنون تحقيقها ، وقاد الحملة لاسقاط عاصمة الخلافة الاسلامية ، وكان صورة حية للتمازج الوثنى الصليبى ضد الاسلام ،

---

(٩١) برتولد شولر مرجع سبق ص ٥٧ ـ ص ٥٨ .
(٩٢) المرجع السابق ص ٦٢ ، ص ٦٤ .

وشاركت الصليبية المحلية فى الحملة ضد الاسلام متمثلة فى حاكم آرمينية المسيحى « هيتوم الأول » ـ كما سبق القول ـ فقد كان على رأس العوامل فى اقناع قاآن المغول بإرسال هذه الحملة(٩٣) .

ووقف بركة خان الحاكم المغولى المسلم من هذه الحملة موقف المعارضة ، انطلاقا من انتمائه للاسلام ، وحاول التوسط فى الأمر دون جدوى ، وكان الجيش المرسل الى بغداد مكونا من فرق شتى من ولايات الامبراطورية المغولية ، ومن هذه الفرق فرقة من جيش القبائل الذهبية التى يحكمها بركة خان، وكان ارسال مثل هذه الفرقة دليلا على خضوع امراء المغول للقاآن ، ووحدة الامبراطورية المغولية ، وكان حتى ذلك الوقت يعتبر نفسه ـ بالرغم من إسلامه ـ جزءا من هذه الامبراطورية، ولكن خضوع بركة لقاآن المغول وانتمائه للامبراطورية المغولية الوثنية لم يستمر طويلا لأسباب عدة :

منها أن توجهات هذه الامبراطورية وموقفها المعادى للاسلام والمسلمين كان يتعارض مع كونه مسلما ارتضى الاسلام له دينا ، حتى قبل أن يعتلى عرش مملكة القبائل الذهبية(٩٤) ـ على بعض الروايات ـ ويتصادم مع مشاعره الدينية ، ولهذا حاول أن يمنع الفرقة التى أرسلها من جيشه من المشاركة فى الهجوم على عاصمة الخلافة الاسلامية ولكننا لا نعرف الظروف التى لم تمكنه من ذلك .

ومنها أن القاآن منكوخان جعل بلاد القوقاز وما جاورها

---

(٩٣) ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ٤٥٩ وما بعدها .
(٩٤) برتولد شخبولر مرجع سبق ص ٥٠ .

من نصيب هولاكو ، وهى بلاد كانت تابعة أصلا للقبائل الذهبية .

وقد بدأ اتجاه بركة خان للانفصال عن الامبراطورية المغولية الوثنية عمليا عندما طلب من رجال جيشه الذين كانوا ضمن الجيش المغولى عند دخول بغداد تحت إمرة هولاكو بترك هذا الجيش ، والتوجه الى مصر لدعم المماليك مما سهل انتصارهم فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ = ١٢٦٠م ، وقد علق المستشرق « شبولر » على ذلك فقال : (وهكذا فان خان القبائل الذهبية - بركة خان - اتحد لأول مرة مع قوة أجنبية ضد إخوانه المغول مما سهل انتصار المماليك فى عين جالوت»(٩٥) .

ومما يؤكد اتجاه بركة الى التخلى عن الانتماء الى امبراطورية المغول الوثنية ، أن العملات التى أصدرها فى منطقة القبائل الذهبية خلت من اسم القاآن منذ سنة ٦٥٨هـ ١٢٦٠م ، وكان وجود اسمه على العملات رمزا لسلطته الشرعية على هذه المنطقة .

ثم رأى بركة خان بعد التطورات التى حدثت داخل الامبراطورية المغولية وانتهت بفوز قوبيلاى - حليف هولاكو بمنصب القاآن أنه ليس هناك ما يدعوه الى الابقاء على علاقاته بالامبراطورية المغولية الوثنية ، وأنه آن الأوان لإرضاء مشاعره الدينية الاسلامية ومشاعر افراد القبائل

---

(٩٥) هذا المستشرق لو عرف اخلاقيات الاسلام ومبادئه حقا لادرك أن بركة خان باسلامه أصبح أخا للمماليك المسلمين فى مصر ، ولم يعد أخا للوثنيين او المسيحيين المغول ، فأخوه الدين - فى الاسلام - مقدمة على أخوة النسب . الباحث .

الذهبية بالانضـواء تحت راية الخليفة العباسى فى القاهرة باعتباره زعيما للعالم الاسلامى من الوجة الشرعية ، فاعلن اعترافه به وتبعيته له .

أما انتصـار هولاكو ودخوله بغـداد عاصـمة الخلافة الاسلامية فقد كان له صدى عميق فى الشام وآسيا الصغرى، وأصبح المسيحيون فى هذه المناطق ينتظرون مجىء هولاكو بذارع الصبر ،مدفوعين فى ذلك بروح صليبية بغيضة ضـد المسلمين أعمت بصائرهم ، وإذا بهم يساعدون المغول فى اسقاط كثير من البلاد الاسلامية فى شمال العراق ، وتهيـأ المغول للزحف على مدن الشام سنة ٦٥٨هـ = ١٢٥٩م فاستولوا على حلب وحماه ثم سـاروا الى دمشـق واستولوا عليها بالامان وتمكنوا من فتح قلعتها التى استعصت عليهم(٩٦) وكان فى مقدمة العوامل التى شجعت المغول على فتح الشام التحالف الذى تم مع (هيتـوم) ملك آرمينيـة الصـغرى (قليفيه) و (بوهيمنـد) ملك انطاكية الصليبى ، وكان ملك آرمينيـة الصغرى يرى أن وضع مملكته بين دولتين مسلمتين هما دولة السلاجقة الروم بالشمال ، ودولة المماليك فى الجنوب تحتم عليه ضمانا لحمايتها التحالف مع المغـول ، والانضمام الى هولاكو فى حربه ضد المسلمين بالشام ، وصارت مملكته بذلك تابعة لايلخانية ايران(٩٧) .

وكان بوهيمند حليفا لهيتوم ، وقد تزوج بابنته ، ودخل

---

(٩٦) النويرى نهاية الارب جـ ٢٧ ص ٣٨٣ ـ ص ٣٩٠ وابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٦ .

(٩٧) المقريزى السلوك فى معرفة الملوك جـ ١ ق ٢ ص ٥١٠ حاشية (١) نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٨هـ (١٩٣٤ ـ ١٩٣٩م) .

بدوره فى التحالف مع المغول ، وكان يجمع الملكين المسيحيين العداء للاسلام والمسلمين ، وكان لزوجة هولاكو المسيحية (دوقوز خاتون) التى حظيت بتقديره وحبه أثر كبير فى توطيد الصداقة بين الزعماء المسيحيين وبين هولاكو(٩٨) ، وقد نقل عن المؤرخ الأرمنى « هيتون » hahron « أن خطة الحملة المغولية قد تقررت بعد لقاء تم بين هولاكو وتابعه الأرمنى (هيتوم) الأول ملك قليقية ، وكان الخان قد طلب إليه أن يسير بجيشه الأرمنى الى ارها بحجة أنه ذاهب ليخلص الأرض المقدسة من المسلمين ، ويردها الى المسيحيين ففرح الملك هيتوم بهذا الخبر وجمع جيشا كبيرا وانضم الى هولاكو ، وقدم البطريق الأرمنى ليمنح البركة للخان»(٩٩) .

ونسوق هنا مثالا لتعصب المسيحيين من أهل الشام ضد المسلمين ، وتحالفهم مع المغول الوثنيين أورده ابن كثير عند حديثه على استيلاء المغول على دمشق ، فيقول : « وسلموا البلدة والقلعة الى أمير منهم يقال له « إبل سيان » وكان لعنه الله معظما لدين النصارى ، فاجتمع به اساقفتهم وقسوسهم، فعظمهم جدا وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصولة بسببه، وذهبت طائفة من النصارى الى هولاكو ، وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومعهم أمان فرمان من جهته . ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رءوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ، ويقولون ظهر الدين الصحيح دين المسيح ويذمون الاسلام وأهله ، ومعهم أوانى الخمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملآنة خمراً يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون

---

(٩٨) د. فؤاد عبد المعطى الصياد المغول فى التاريخ جـ١ ص ٢٩١ دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠ .

(٩٩) المرجع السابق ص ٢٩٩ ، ص ٢٩٢ نقلا عن

Grousset lcmyere des Stepps P.434

كل من يجتازون به فى الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم - وكان فى نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها » وذكر ابن كثير أنه لما اشتكى وجوه الناس من العلماء والقضاة إلى الحاكم المغولى أهانهم وطردهم وقدم كلام رؤساء النصارى (١٠٠) .

لذلك لا عجب إذا اعتقد البعض أن المغول بصورة عامة مسيحيون - عدا هؤلاء الذين تمسكوا بالديانة الشاهانية - وكانت الدلائل أمامهم واضحة ، فعندما غزا الايلكخانات بلاد ما بين النهرين واحتلوها ثم غزوا سوريا ، أظهروا صداقتهم للمسيحيين مع خصومتهم وعدائهم للمسلمين ، بل كان اعترافهم بالمجتمعات والكنائس النسطورية واليعقوبية فى أماكن تواجدها عاملا فى جعل الديانة المسيحية ذات خطوة ونفوذ فى بلاط الإيلكخان وفضلا عن وجود (دقوز خاتون) المسيحية زوجة هولاكو ، كان هناك عدة أميرات مسيحيات نسطوريات (١٠١) .

ثم كان الصدام حتميا بين الاتجاهين المتناقضين فى امبراطورية المغول الاتجاه الاسلامى الذى يمثله بركة خان والاتجاه الوثنى الصليبى الذى يمثله هولاكو ، وحدث الصدام ، وكان على رأس أسبابه الناحية الدينية ، فقد وقف بركة خان موقف الحامى للمسلمين من اضطهاد هولاكو ، بالإضافة الى الرغبة فى استعادة اقليم القوقاز الذى ضمه القاآن مونكو خان الى املاك هولاكو .

---

(١٠٠) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٩ .

(١٠١) المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢٤٨ ويسمى زوجة هولاكو (ظفر خاتون) وذكر أنها تنصرت ، وكانت تفضل النصارى على جميع الخلق . وانظر بر تولد شبولر مرجع سبق ص ٦٤ ، هن ٦٥ .

أما تاريخ هذا الصدام ، فيذكر النويرى أنه كان سنة ٦٥٣هـ = ١٢٥٥م أى قبل غزو هولاكو لبغداد ، وذكر أنه لما اتصل ببركة خبر هولاكو ، وقربه من البلاد سار بجيوشه للقائه ، وكان بينهما نهر يسمى نهر ترك ، وقد جمد ماؤه لشدة البرد ، فعبر عليه هولاكو بعساكره إلى بلاد بركة ، فلما التقوا واقتتلوا كانت الهزيمة على هولاكو فلما وصل الى هذا النهر تكردس أصحابه عليه فانخسف بهم ، فغرق منهم خلق كثير، ورجع هولاكو بمن بقى معه من أصحابه الى بلاده(١٠٢) .
ويذكر رشيد الدين لهذا الصدام تاريخين مختلفين ، فيذكر مرة أنه كان سنة ٦٦٥هـ = ١٢٦٦م ويذكره مرة أخرى أنه بدأ سنة ٦٦١هـ = ١٢٦٢م(١٠٣) .

ولعل التاريخ الثانى الذى ذكره رشيد الدين أصح هذه التواريخ ، لأن هولاكو توفى قبل عام ٦٦٥هـ = ١٢٦٦م ،كما أن هذا التاريخ يتفق مع سياق الأحداث ، فالى هذا العام ترجع أولى سفارات بركة الى مماليك مصر ، وقد أشار النويرى الى هذه السفارة ، وذكر أن بركة بعث الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ملك الديار المصرية والممالك الشامية فى سنة ٦٦١هـ = ١٢٦٢م ، يخبره بما من الله عليه من الاسلام ، فأجابه السلطان يهنيه بهذه النعمة ، وجهز له هدايا جليلة ، وكتب اليه يغريه بهولاكو ، ويحضه على حربه(١٠٤) .

وفى إطار هذا التحالف الذى تم بين بركة ملك القبائل الذهبية وبين الممالك فى مصر ، طلب بركة من رجال جيشه

---

(١٠٢) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٥٩ .
(١٠٣) رشيد الدين جامع التواريخ م ٢ جـ١ ص ٣٣٤ - ص ٣٣٥ .
(١٠٤) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٦٠ .

الذين اشتركوا مع هولاكو فى غزو بغداد ، بترك جيش هولاكو والانضمام الى المماليك فى مصر - كما سبق - وكان التحالف بين مملكة القبائل الذهبيـــة ومصر لاعتبارات كثيرة(١٠٥) يأتى فى مقدمتها العامل الدينى الذى كان له أثره فى علاقات شعوب الشرق ، فقد ربط الاسلام بين بركة وحكام مصر من المماليك .

وبعد وفاة هولاكو ، تولى ابنه « أباقا » أو « آبغا » حكم ايلكخانية إيران ، وواصل سياسة العداوة التى انتهجها أبوه ضد الاسلام ، وفى هذا الصدد بادر بإرسال جيش لقتال بركة خان سنة ٦٦٣هـ = ١٢٦٤م وبعث بركة بجيشه وكانت الدائرة على جيش آباقا (أبغا)(١٠٦) .

وكان أباقا يميـل الى البوذية كأبيـه ، وكان يشـجع انتشارها بين بلاطه وأفراد شعبه ، ويبدو أن الحكام المغـول فى ايلكخانية ايران كان قد تخلوا عن تأييد الديانة الشامانية فى هذه الفترة من التاريخ ، كما تخلوا عن سياسة عدم المبالاة بالنسبة للأديان ، ويقال إن أباقا شيد عددا كبيرا من المعابد البوذية فى عديد من المدن الايرانية ، وحتى فى بعض القرى، وهذا يمثل تحديا صريحا لمشاعر جماهير المسلمين فى هـذه المناطق الاسلامية .

---

(١٠٥) من هذه الاعتبـارات الناحية التجارية فقـد ابرمت معاهدة تجارية بين مصر ومملكة القبائل الذهبية بموجبها يستمر تصدير العبيد من شواطىء البحر الاسود الى مصر ، هذا الى تشابه العادات والتقاليد بين المماليك ومغول القبائل الذهبية حيث ينتمى الجميـع الى منطقـة اواسط اسيا انظر برتولد شبولر مرجع سبق ص ٥٢ - ص ٥٣ .

(١٠٦) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٦١ وقد ذكر ان بركة خان توفى بعد هذه المعركة بسنتين أى عام ٦٦٥هـ = ١٢٦٦م .

ولم تكتب لمحاولات نشر البوذية النجاح ، وتمسك المسلمون بعقيدتهم الدينية ، وتصدوا لتسلط أباقا الذى كان يتظاهر ـ كذبا ـ بتطبيق مبدأ الحرية الدينية لرعاياه ، انطلاقا من مبادىء الياسا ، ومن جهة أخرى حرص أباقا على مضايقة المسلمين بتشجيع المسيحية ، وفتح الباب أمام المبشرين ، وكانت هذه الفترة هى العصر الذهبى بالنسبة لليعاقبة والنساطرة ، فقد تجددت كنائسهم ، وانتشرت بعثاتهم التبشيرية ، وقد أظهر أباقا ميلا وعطفا للمسيحيين، وكل هذا على حساب جماهير المسلمين .

وكانت احدى زوجات أباقا مسيحية ، وكانت أميرة بيزنطية على المذهب الأرثوذكسى ، وبعض أمراء وأميرات البيت المالك المغولى اعتنقوا المسيحية ، وبدا واضحا للغرب المسيحى أن النصرانية سوف تنتصر فى النهاية ، ومما زاد فى تفاؤل الغرب المسيحى أن الايلكخات لم يكن لديهم رغبة فى اعتناق الاسلام وهو دين الشعب الذى يحكمونه ، فقد كان المسلمون منقسمين الى سنة وشيعة ، وحدثت مواجهات عدائية سافرة بينهما(١٠٧) .

انتصار الإسلام :

لقد كان عصر هولاكو وابنه أباقا فى ايلكخانية ايران ، يمثل ذروة ما وصل اليه تيار التعصب ضد الاسلام ومحاربته، وقد خرج الاسلام ـ كدين وعقيدة ـ من هذا الصراع مع الوثنيين والصليبيين مرفوع الهامة ثابت الخطا ، والحقيقة

---

(١٠٧) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٩٦ وانظر برتولد شيولر مرجع سابق ص ٦٥ .

أن ما لحق بالمسلمين من هزائم وتقهقر على يد جنكيز خان وهولاكو وغيرهما ، هو هزيمة للمسلمين وليس للاسلام ، وما لحق بهم ذلك إلا لبعدهم عن مبادئه وأخلاقياته فى الاتحاد والتعاون والأخذ بأسباب القوة وغير ذلك(١٠٨) .

هذا وقد وجد الاسلام طريقه الى حكام الدولة الايلكخانية بقوته الذاتية ، وبساطته وملاءمته للفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فقد تحول حكام هذه الدولة الى الاسلام ، وذلك بعد وفاة أباقا ٦٨١هـ = ١٢٨٢م(١٠٩) ، فقد تولى أخوه « توكدار » أو « نيكودار » السلطة ، واعلن فور توليه اعتناق الاسلام عن اقتناع خالص بهذا الدين ، واتخذ له اسما جديدا هو احمد ، وبعث الى أهل بغداد يبشرهم بذلك ، وبتطبيق شريعة الاسلام ، وكتب الى السلطان (قلاوون) بمصر(١١٠)، ولكن الجماعات البوذية المتطرفة ازعجها ما حدث ، وتآمرت ضده ، وأسقطته بعد سنتين من حكمه ، وعملت على الانتقام من المسلمين ، ولم يكن ذلك منها الا محاولات يائسة لاطفاء

---

(١٠٨) اورد النويرى قصة تؤكد ما أشرنا اليه حيث تحاورت زوجة قائد مغولى مع احد الخطباء ، فقالت له : انتم خير عند الله أم نحن ؟ قال : بل نحن قالت فاذا كنتم خيرا منا عنده فكيف نصرنا عليكم ؟ فقال هذا الثوب الذى عليك ـ وكان ثوبا نفيسا ـ تعطيه لمن يكون خاصا بك أم بعيدا عنك ؟ فقالت بل أختص به من يختص بى قال فاذا أضاعه وفرط فيه ودنسه ما كنت تصنعين به ؟ قالت أنكل به واقتله فقال لها دين الاسلام بمثابة هذا الجوهر والله أكرمنا به فما رعيناه حق رعايته فغضب علينا وضربنا بسيوفكم واقتص منا بأيديكم ... الخ نهاية الارب ج ٢٧ ص ٣٥١ ـ ص ٣٥٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ج ٢٧ ص ٤٠٠ وابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٧ .

(١١٠) النويرى نهاية الارب ج ٢٧ ص ٤٠٠ ـ ص ٤٠٢ وابن كثير البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٧ وعنده أن توكدار (أحمد) ابن لأبغا وليس اخا له كما ذكر النويرى وغيره وانظر برتولد شبولر مرجع سبق ص ٦٩ ـ ص ٧٣ .

نور الاسلام وكان كذلك بمثابة صحوة الموت النهائى ، فلم تمض سنوات قلائل حتى تولى العرش « غازان » ٦٩٤هـ = ١٢٩٥م الذى أعلن اسلامه ، وترك الديانة البوذية التى كان يعتنقها ، وكان ذلك نقطة فاصلة فى تاريخ دولة المغول فى إيران ، فقد استقر فيها الاسلام الى ما شاء الله .

وهكذا فقد انتصر الاسلام فى آخر المطاف ، ويمكن أن نقول ان المغول اذا كانوا قد هزموا المسلمين فى بلادهم عسكريا ، وانتصروا عليهم سياسيا فى البداية ، فان الاسلام قد غزاهم فكريا وانتصر عليهم حضاريا فى النهاية ، فقد دخل عدد كبير من المغول الاسلام ، وتبعهم غيرهم ، ونكست أعلام البوذية ، وحولت معابدها الى مساجد ، أما المسيحية النسطورية فقد أخذت فى الذبول والخمود ، وتحول بعض افراد هذه الطائفة الى الاسلام ، والذين بقوا على دينهم انسحبوا وسكنوا الجبال الجرداء شمال الفرات الأعلى(١١١) .

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز »(١١٢).

صدق الله العظيم

والحمد لله رب العالمين

---

(١١١) برتولد شبولر المرجع السابق .
(١١٢) المجادلة ايه ٢١ .